الفصل الخامس

أسفار الحكمة بين ابن حزم وريبان

obeikandl.com

obeikandl.com

أسفار الحكمة بين ابن حزم وريـنان

أسفار الحكمة هي مجموعة أسفار يغلب عليها الطابع الأدبي شعرًا أو نثرًا، وبعضها يتضمن تراثًا من القصص والحكم تواتر عبر الأجيال، كما أن بعضها الآخر يتصل بالكيان السياسي والاجتماعي والديني لليهود، ويحتوي كثير منها على تمجيد لبطولاتهم في الاستقرار في فلسطين أو الرجوع إليها بعد السبي البابلي، ومن هذه الأسفار: مزامير داوود، وأمثال سليمان، وأيوب، ونشيد الأناشيد، وراعوث، ومراثي إرميا، والجامعة[١].

«وتنسب الأسطورة ثلاث من هذه المؤلفات لسليمان، وهي: الأمثال، والجامعة، ونشيد الأناشيد، وتجعل كل مؤلف من هذه المؤلفات تجسيدًا لمرحلة عمرية معينة من مراحل عمر سليمان»[٢].

وقد اختلفت وجهات النظر حول علاقة سليمان بأدب الحكمة، فالبعض ينسب لسليمان التأليف المباشر للجامعة ونشيد الأناشيد والأمثال، وهي النظرة التقليدية في اليهودية والمسيحية، والبعض الآخر اعتبر علاقة سليمان بأدب الحكمة نوع من الخرافة، وهو الرأي السائد لدى نقاد العصر الحديث، وقام بعضهم بالمقارنة بين تلك الأسفار وإنتاج أدب الحكمة لدى شعوب الشرق الأدنى القديم.

وهناك فريق ثالث اتخذ موقفًا وسطًا فرفض نسبة تأليف الأسفار الثلاثة لسليمان، بناء على مضمون تلك الأسفار، إلا أنه ترك مساحة لعلاقة سليمان بالحكمة، واعتبروا أنه من الإجحاف رد الروايات التي تنسب لسليمان الحكمة في سفر الملوك (الملوك الأول **٥: ١٢**) «والرب أعطى سليمان حكمة كما كلمه».

وتساءل الباحثون حول سر نسبة ذلك النوع من أدب الحكمة إلى سليمان، وافترضوا أن اليهود خلال فترة السبي، كان من عادتهم العودة بمؤسساتهم ومؤلفاتهم إلى فترات الازدهار لديهم، خاصةً عهد داوود وسليمان[٣].

---

(١) انظر: د.حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، ص ٤٦ .

(٢) ELLEN F.DAVIS , PROVERBS , ECCLESIASTES , AND THE SONG OF SONGS , JOHN KNOX PRESS ,U.S ,٢٠٠٠,P١ .

(٣) انظر:

ولذلك نُسِبت إلى سليمان تلك المؤلفات وفقًا للعادة العبرية، التي تنسب كل الشريعة إلى موسى، وكل الأناشيد المقدسة إلى داوود، وكل الحكمة إلى ملك إسرائيل الحكيم(١).

المبحث الأول: نقد ابن حزم لبعض أسفار الحكمة:

رفض ابن حزم نسبة هذه الأسفار الثلاثة لسليمان -عليه السلام- بناء على مضامينها، حيث أن نشيد الأناشيد على سبيل المثال، «لا ينطوي على إشارة واحدة إلى الله، ولا إلى الصلاة، ولا لأي ممارسة دينية لبني إسرائيل.. ويبدو أنه أحد أناشيد الزواج الشعبية، أو قصيدة حب إباحية لا دينية»(٢)؛ ولهذا يصفه ابن حزم قائلاً: «كلام أحمق لا يُعقل، ولا يدري أحد منهم مراده، إنما هو مرة يتغزل بمذكر، ومرة يتغزل بمؤنث..»(٣).

ويصف ابن حزم سفر الأمثال بأنه كتاب مواعظ(٤)، وينتقي نصًا من الأمثال، رأى فيه تناقض شديد مع التنزيه الواجب للإله عن الشرك، حيث يتحدث النص عن وجود سليمان –بحسب رأي ابن حزم- منذ الأزل قبل خلق السماوات والأرض «قبل أن يخلق الله شيئًا في البدء أنا صرت، ومن القديم قبل أن تكون الأرض، وقبل أن تكون النجوم..وإذ كان يعلق أساسات الأرض، أنا معه كنت مهيئًا للجميع»(٥).

ويختلف النص الذي اعتمد عليه ابن حزم قليلاً عن النص في النسخة الحالية للعهد القديم، والذي يرد في (سفر الأمثال ٨: ٢٣ – ٣١)، و يرفض أن يكون سليمان قد نطق بهذه الكلمات، وفي نفس الوقت يرفض التأويل اليهودي للنص، والذي

RIAD AZIZ KASSIS , THE BOOK OF PROVERBS AND ARABIC PROVERBIAL WORKS , LEIDEN ,BRILL ,١٩٩٩ .P٢٧ – ٣١ .

(١) JAMES HASTINGS , DICTIONARY OF THE BIBLE , CHARELS SCRIBNER 'S SONS, NEW YORK ,١٩٦٣ , P٨١٢ .

(٢) انظر:. ELLEN F.DAVIS , PROVERBS .., IBID , P ٢٣١

(٣) ابن حزم، الفصل، ١\٣١٠ .

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة .

(٥) ابن حزم، الفصل، ١/ ٣١٠ .

يعتبره حديثًا عن العلم الإلهي، وليس عن سليمان، فيقول:«ورأيت بعضهم يخرج هذا الكلام على أنه إنما أراد علم الله تعالى..ولا يعجز من لا حياء له عن أن يقلب كل كلام إلى ما اشتهى بلا برهان»[١].

ويشير ابن حزم إلى الكتاب الثالث الذي ينسب إلى سليمان «يُسمى قوهلث معناه الجوامع .. وفيه أن قال مخاطبًا لله تعالى اخترني أميرًا لأمتك، وحاكمًا على بنيك وبناتك، وهذا كالذي سلف، وحاش لله أن يكون له بنات وبنون، لاسيما مثل بني إسرائيل في كفرهم في دينهم ..»[٢].

أما بالنسبة لسفر المزامير المنسوب لداود -عليه السلام- فابن حزم يرفض نسبته إلى داوود بناء على أن به ما يتناقض والسمة الأساسية للوحي، وهي التنزيه الإلهي.

ويشير ابن حزم إلى بعض المزامير مثل المزمور ٢: ٧ «إني أخبر من جهة قضاء الرب، قال لي: أنت ابني أنا اليوم ولدتك»، ويتعجب ابن حزم من انتقاد اليهود للنصارى في مسألة بنوة المسيح، ولديهم في كتابهم مثل تلك العبارات، وأشار ابن حزم إلى أن الكثير من المزامير تشير إلى تعدد الآلهة مثل المزمور ٤٥: ٦ – ٧، والمزمور ١٠: ١، والمزمور ٨٢: ١ والذي يرد فيه: «الله قائم في مجمع الآلهة»، وهو بالطبع ما يتناقض مع التوحيد الإلهي[٣].

ويكتفي ابن حزم بهذه الإشارات البسيطة لبعض أسفار الحكمة، ويقول: «لم نكتب مما في الكتب التي يضيفونها إلى الأنبياء -عليهم السلام- إلا طرفًا يسيرًا دالًا على فضيحتها وتبديلها ..ولو تقصينا ما في كتب أنبيائهم من المناقضات والكذب لكثر ذلك جدًا، وفيما أوردناه كفاية»[٤].

---

(١) السابق، ص ٣١٠ .

(٢) السابق، ص ٣١١ . والحقيقة أنني لم أجد هذا النص في النسخة الحالية من العهد القديم .

(٣) انظر: ابن حزم، الفصل ١ / ٣٠٧ – ٣٠٩ .

(٤) السابق، ٣١١ – ٣١٢ .

المبحث الثاني: نقد رينان:

أما رينان فقد خص كلاً من نشيد الأناشيد والجامعة وسفر أيوب بدراسة نقدية مستقلة، مستخدمًا منهج النقد التاريخي الأدبي وذلك على النحو التالي:

أ – نشيد الأناشيد Le Cantique des Cantiques:

فسر التأويل اليهودي التقليدي السفر تأويلاً دينيًّا على أنه تعبير روائي شعري عن قصة حب الله لإسرائيل، وقد تابع التأويل المسيحي التقليدي النظرة اليهودية للسفر(١)، واختلف علماء نقد العهد القديم حول الوحدة الداخلية للسفر، وهل هو مجموعة من أناشيد الحب العاطفية، التي لا يربطها خط درامي واحد، أم أن هناك حدث درامي يمكن أن نستشفه من السياق العام؟.

فبينما ذهب هيردر(٢) إلى أنها مجموعة من أناشيد الحب أو الزواج، ذهب ديلتزتش(٣)، وإيفالد إلى أنه قصة درامية أبطالها ثلاثة شخصيات؛ الملك سليمان،

---

(١) انظر:
G.W.ANDERSON , ACRITICAL INTRODUCTION TO THE OLD TESTAMENT , P ١٩٢ .

(٢) هيردر: لاهوتي ألماني بروتستانتي، شاعر وكاتب ولد في موهرنجين بشرق روسيا ١٧٤٤، وتوفي عام ١٨٠٣ . درس اللاهوت والفلسفة والإنسانيات في جامعة كونيجيبيرج .اهتم بالدراسة الأدبية للكتاب المقدس.
كانت لأعماله في الآداب العبرية أثر كبير في أوساط هذه الدراسات مثل كتابه:
DIE AELTESTE URXUNDE DES MENSCHENGESCHLECHTS
والذي اعتبر فيه الشعر في الكتاب المقدس أناشيد قومية قديمة، وكذلك كتابه: أناشيد الحب، والذي درس فيه نشيد الأناشيد، وخلصه من كل التراكمات الرمزية السابقة، واعتبره تعبيرًا عن المشاعر اليهود الطبيعية .انظر: موقع الموسوعة اليهودية
WWW.JEWISHENCYCLOPEDIA.COM كتب المقال: GOTTHARD DEUTSCH، تمت الزيارة ٩/١١/٢٠٠٩م الساعة الثانية ظهرًا.

(٣) ديلتزتش: أستاذ في الدراسات العبرية وناقد للكتاب المقدس، ولد في ليزبيك ١٨١٣.وتوفي ١٨٩٠ . اهتم بالدراسات الأدبية والفيلولوجية للكتاب المقدس. من أهم أعماله:
"Zur Geschichte der Jüdischen Poesie" (Leipsic, ١٨٣٦), تاريخ الشعر اليهودي،و كتاب:
"Jüdisch-Arabische Poesien aus vor-Muhammedanischer Zeit" الشعر العربي اليهودي في فترة قبل الاسلام .انظر: موقع الموسوعة اليهودية:

وشلومايت راعية الغنم، وحبيبها راعي الغنم، التي ظلت مخلصة له رغم محاولات سليمان للفوز بحبها[١].

ورينان يرجِّح الرأي الأخير ويستدل على ذلك بأن هناك عدة مقاطع متنوعة، تترابط وتوحي بأن هناك حدث درامي يمكن أن نستشفه عبر السفر، وتلك المقاطع هي: الثاني والثالث والتاسع والثاني عشر والرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر[٢].

وقد اهتم رينان بقضيتين رئيستين: تحديد المؤلف، وتحديد زمن السفر. ويؤكد رينان استحالة أن يكون سليمان مؤلفًا للسفر، خاصةً وأن شخصية سليمان، تبدو في عدد كبير من مقاطع السفر محلاً للسخرية.

كما تظهر خلال السفر ملامح واضحة للمعارضة والاستياء تجاه سليمان ونسائه وجواريه، وعظمة وفخامة مملكة ابن داوود (نشيد الأناشيد ٨: ٧، ٨: ١١ – ١٢)، يقول رينان: «فالحقيقة أننا نشعر في كل صفحة من صفحات هذا السفر، بمعارضة شديدة يبديها المؤلف تجاه رفاهية عصر سليمان، وحنقه الشديد على حريم السلطان، وإحساسه بالنشوى، حينما يبين لنا انتصار راعٍ بسيط على سلطان مغرور، يعتقد أنه يمكن أن يشتري الحب بالمال»[٣].

ويحاول رينان استنباط بعض الإشارات التاريخية من داخل السفر، محاولًا تحديد زمن تأليفه، فقد ورد في الفقرة الرابعة من الإصحاح السادس إشارة إلى مدينة ترصة «أنت جميلة يا حبيبتي كترسة، حسنة كأورشليم، مرهبة كجيش بألوية».

WWW.JEWISHENCYCLOPEDIA.COM، كتب المقال: CRAWFORD HOWELL TOY، تمت الزيارة ٢٠٠٩/١١/٩م.الساعة الثانية والنصف ظهرًا.

(١) انظر:

GEORGE BUCHAN GRAY , ACRITICAL INTRODUCTION TO THE OLD TESTAMENT , New York : Scribner's, ١٩٢٩. P ١٥٥- ١٥٧ .

(٢) انظر:

RENAN , LE CANTIQUE DE CANTIQUES , TOME VII DE O.C , CALMAN –LÉVY ,١٨٦٠ ,P ٤٣٩ .

(٣) RENAN , LE CANTIQUE ..., OP.CIT , P ٤٧٨ .

تلك المدينة التي كانت عاصمة مملكة إسرائيل منذ حكم يربعام، وحتى حكم عُمري من **٩٧٥**ق.م، وحتى **٩٢٤**ق.م، ثم أسس عمري في عام **٩٢٣**ق.م السامرة، التي أصبحت عاصمة مملكة الشمال، واختفت ترسة تقريبًا من التاريخ عقب ذلك، وعلى هذا فإن التأليف الأول للسفر كان سابقًا على عام **٩٢٤**ق.م، وعقب وفاة سليمان[١]. ومن ثم فإن رينان يرفض الرأي الذاهب إلى إرجاع السفر لفترة ما بعد السبي، ذلك الزمن الذي انطمست فيه معالم تلك المملكة القديمة[٢].

كما أن نضارة وبساطة الشعر وجرأته لا يُوحي أبدًا بأنه نتاج فترة ربانية ضيقة الأفق، ومتشددة مثل: زمن عزرا، بل إنها جاءت من زمن كان فيه نبوغ إسرائيل، أكثر حيوية وتحرر «فإن كل الأعمال الأدبية العبرية الحرة، والتي كانت الشعوب المجاورة لفلسطين تمتلك أدبيات مشابهة لها، والتي لا نجد بها البصمة الخاصة بالفكر اليهودي، يجب وضعها قبل عصر الدعوة الدينية الكبرى في إسرائيل»[٣].

أما بالنسبة للأسلوب الأدبي فإن لغة نشيد الأناشيد تعود إلى قرن مالت فيه العبرية للصيغ الكلدانية في الفترة التي سبقت السبي، وربما يكون الكتاب قد تألف في مملكة الشمال، حيث أن لغة قبائل الشمال قد مالت نحو الآرامية ومن المحتمل أن يكون نشيد الأناشيد قد ظل لفترة طويلة أغنية شعبية، ولم يتحول إلى نص مكتوب إلا بعد فترة طويلة.

وفي النهاية يخلص رينان إلى أنه يتفق مع كل من هيردر، و إيفالد، ودي فته، في تحديد زمن السفر قريبًا من منتصف القرن العاشر ق.م، مع قبائل الشمال[٤].

---

(١) ويتفق رينان مع دي فتي حول هذه الفرضية، بينما يذهب كل من إيشهورن و روزن موللر إلى التأريخ للسفر في عصر متأخر بسبب المسحة الآرامية في السفر، ولكن دي فتي يرفض ذلك لأن سمات السفر تصف حياة تعود إلى عصر سليمان .انظر:

DE WETTE , A CRITICAL AND HISTORICAL INTRODUCTION TO THE CANONICAL.., P ٥٣٨ .

(٢) انظر: . RENAN , LE CANTIQUE ..., P٤٧٦ – ٤٧٧

(٣) RENAN , LE CANTIQUE .., OP.CIT , P ٤٧٩ .

(٤) انظر: . RENAN , LE CANTIQUE ...,OP.CIT ,P ٤٨١

• **كيف تحول نشيد الأناشيد إلى نص مقدس؟**

يشير رينان إلى أنه قديمًا كان أي كتاب قديم للغاية يُعد في نظر المُحدثين مُقدسًا، على الرغم من غياب السمة الدينية عنه، ويقوم هؤلاء بإحاطته بستارٍ من المجاز الديني؛ لأن كون كتابًا ما قديمًا يُعد دافعًا أساسيًّا لتقديسه(١).

ويرفض رينان تمامًا التأويلات الرمزية للسفر، الذي تجعل منه كتابًا صوفيًّا، فيقول: «لا توجد مطلقًا أي فكرة باطنية رمزية داخل السفر، فهو ليس سوى أغاني حب عربية ولا يوجد بها مطلقًا أي أثر للرمزية الدينية»(٢).

ب - الجامعة LEcclésiaste:

يشير النقاد إلى أن سفر الجامعة قد أثار جدلًا واسعًا بين الربانيين أثناء محاولتهم تثبيت النصوص القانونية، حيث أثارت لهجته المتحررة، ونزعته الشكية، اعتراض بعض الربانيين، وعلى الرغم من ذلك ولسبب غير معروف تم إدراجه ضمن الأسفار القانونية، على الرغم من أنه لا يحمل أي سمة من سمات الوحي(٣).

وقد نسب السفر لسليمان؛ لأنه يحكي بصيغة السيرة الذاتية عن الجامعة ابن داوود، الذي كان ملكًا قادرًا مرحًا مغرمًا بالنساء والحكمة، عالمًا حكيمًا شغوفًا بكل أمور الطبيعة، وهذه هي الصفات التي قدمت بها الأسطورة والتاريخ شخصية سليمان، والحقيقة أن سليمان لم يكن بالنسبة للمؤلف سوى اسم مستعار، يعرض به المؤلف لأفكاره الخاصة، التي جاءت متوافقة مع النموذج الأسطوري لملك أورشليم.

وما فعله مؤلف سفر الجامعة، يشبه -برأي رينان- ما قام به أفلاطون في محاورتي بارمينيدس، وطيماوس، حيث اختار بارمينيدس ليعرض الفلسفة الإيلية، وطيماوس ليعرض للفلسفة الفيثاغورية، ووضع على ألسنتهم ما يتوافق مع معتقداتهم(٤).

---

(١) انظر: . RENAN , LE CANTIQUE ...,OP.CIT , P٤٨٠

(٢) RENAN , LE CANTIQUE ...,OP.CIT , P ٤٨٣ .

(٣) انظر: , JAMES HASTINGS , DICTIONARY OF THE BIBLE ,IBID P٢٢٨ .

(٤) انظر: , RENAN , L'ECCLÉSIASTE , TOME VII DE O.C ,١٨٨٢

– الفلسفة العامة لمؤلف سفر الجامعة:

تتلخص فلسفة المؤلف في العبارة التي كررها أكثر من عشرين مرة خلال العمل، وهي: «كل شيء باطل»، فالعالم في نظره سلسلة من الظواهر تكرر نفسها، وترتبط مع بعضها البعض في دائرة، بدون تقدم، فالماضي يشبه الحاضر والحاضر يشبه المستقبل، والحاضر سيء، والماضي ليس بأفضل حالٍ منه، ولن يكون المستقبل أفضل حالًا وأي محاولة لتحسين الأوضاع الإنسانية، نوع من الوهم، فالإنسان وُلِد لمصيره المحتوم، ويؤكد المؤلف أنه قد وصل إلى تلك النتائج عبر خبراته في الحياة.

ولا تؤدي هذه النظرية العبثية بالمؤلِّف إلى تجاهل القانون الأخلاقي، فالجريمة بلا شك حماقة، ولكن الحكمة والتقوى في نفس الوقت، ليست لها جزاءات، فالمجتمع شرير، والملوك أنانيون، وماكرون، والناس، والقضاة جاحدون، والطريقة السليمة في نظره في السلوك في هذه الحياة تتمثل في التمتع بالثروة، التي يكتسبها من عمله وأن يحيا سعيدًا مع امرأته، وأن يتجنب الإسراف في كل شيء، وألا يكون حكيمًا جدًا، ولا يتخيل أنه يمكن أن يبذل جهودًا للانتصار على القدر، وأن يتقبل أحكام الحياة، كما هي موجودة دون أن يصارعها، أو يحاول التغلب عليها.

ولم يكن مؤلف الجامعة مُلحدًا، فهو لا ينكر وجود الله، ولكنه كان شكيًا، ماديًّا، جبريًّا، متشاءمًا، على وجه الخصوص . ولا يظهر في السفر أي أثر لعقيدة دينية

P٥٣٢ – ٥٣٣

وقد كان مارتن لوثر من أوائل من أشار في مستهل العصر.الحديث إلى أن سليمان لا يمكن أن يكون هو مؤلف السفر وقال في كتابه:" TABLE TALK":«سليمان لم يكتب سفر الجامعة، ولكن ألفه سيراخ في عصر المكابيين ...إنه نوع من التلمود، مقتبس من عدة كتب ربما من مكتبة الملك البطلمي في مصر.». وقد استغرق هذا الرأي مئة عام حتى يتأيد ويتقوى، حيث أشار مايكليز أن سليمان لم يؤلف السفر، وأن نبي عاش بعد السبي كتب سفر الجامعة، وخلال القرن التاسع عشر مع إيشهورن ودوديلبرن وداث وغيرهم أصبح ذلك أمر مسلم به . انظر:

GEORGE A.BARTON , ACRITICAL AND EXEGETICAL COMMENTARY ON THE BOOK OF ECCLESIASTES , EDINBURGH , T&T CLARCK ,١٩٨٠ .P ٢١ -٢٣ .

دوجماطيقية، ولا معارف كهنوتية، ولا أفكار نبوية، فقط فكرة تقوى الله. ويشير رينان إلى أن السبب وراء كل ذلك التشاؤم من جانب المؤلف، هو غياب فكرة الآخرة [١].

فإن حكماء بني إسرائيل لم يستطيعوا أن يحلوا هذه المفارقة، فالله عظيم عادل يحب الخير ويكره الشر، ومع ذلك فإن العالم مليء بالظلم والإجحاف، وليس هناك حياة أخرى، تمحو قلق الأخيار، وتدعم عدالة الله، ومحبته للخير[٢].

ويرفض رينان فرضية تأثر مؤلف السفر بالفلسفة اليونانية أو الرومانية، وأن ما قدمه في السفر كان تطور منطقي للفكر اليهودي، فإن أسلوبه سامي من الدرجة الأولى -برأيه- ولا توجد في لغته أي أثر لكلمة يونانية أو أي سمة هيللينستية[٣].

---

(١) ويذهب رينان إلى أن السبب وراء غياب فكرة الحياة الآخرة وخلود الإنسان بعد الموت تعود – برأيه – إلى أن حكماء بني إسرائيل رأوا أن تلك العقيدة تنال من سمة الخلود الإلهي، الذي يجب أن يظل وحده الخالد الأبدي، أما الإنسان فهو فانٍ بشكل أساسي، ويعيش لأجل مسمى ثم ينتهي؛ ولذلك وقف هؤلاء الحكماء بالمرصاد ضد تسرب تلك العقيدة إلى بني إسرائيل، سواء من البابليين أثناء إقامتهم الأولى هناك، أو من المصريين، وإذا كانت فكرة الآخرة ضرورية لتدعم فكرة الثواب والعقاب الأخلاقي، فإن الإسرائيليين اقتصر لديهم الثواب على الحياة المديدة، والذرية الكثيرة في الدنيا (تكوين ١: ٢١) والموت كعقاب على الأفعال الشريرة (تكوين ٣٨: ٧، ١٠) «وكان عير بكر يهودا شريرًا في عيني الرب، فأماته الرب». ويرى رينان أن الفكر الأخروي لم يظهر في اليهودية إلا مع يهود الإسكندرية وأن سفر دانيال، الذي ظهرت فيه لأول مرة ملامح عقيدة البعث اليهودية، حيث تأثر بمؤثرات فارسية، حيث كانت هذه الفكرة واضحة لديهم، وأنه لم يتبناها إلا من أجل شهداء اليهود في عصر المكابيين، انظر دانييال ١٢: ٢، ١٣ «وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي». انظر:

RENAN , HISTOIRE DE PEUPLE.., ١\١٠٧–١٠٨, ٥\١١٩٨–١٢٠٢.

وهذا التبرير نفسه قد أورده هيجل. انظر: د.محمد عثمان الخشت، الأديان تأويل نقدي لفلسفة الدين عند هيجل، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ١٣٣ .

(٢) انظر: . RENAN , LECCLÉSIASTE, OP.CIT ,P ٥٣٧ – ٥٤٥

(٣) انظر: . RENAN , HISTOIRE DE PEUPLE..,٥\١٣٦٧

ويتفق مع رينان من باحثي العهد القديم «ماكنيل» في كتابه مقدمة لسفر الجامعة، بينما دأب على إثبات وجهة النظر الأخرى المتعلقة بالتأثير الفلسفي اليوناني على سفر الجامعة، بفليدين، ونتيلر، فرديلندر .انظر:

GEORGE A.BARTON , ACRITICAL AND EXEGETICAL COMMENTARY ON THE BOOK OF ECCLESIASTES , IBID , P ٣٤ .

- زمن تأليف السِّفر:

يشير رينان في البداية إلى أن الأدب العبري قد مرَّ بلحظتي ازدهار، تفصل بينهما صحراء واسعة تمتد نحو ثلاثمائة عام.

انتهت المرحلة الأولى تقريبًا في **٥٠٠**ق.م، وتشغل الجانب الأعظم من العهد القديم، وبُعث شعاع الحركة الأدبية من جديد في القرن الثاني ق.م، وأنتجت تلك الفترة كتب دانيال، وإخنوخ، والعديد من مؤلفات الأدب العبري، مثل: صعود موسى، وأبوكريفا إيسدراس، وسِفر يهوديت، وسِفر طوبيا، تلك المؤلفات التي مهدت لظهور الكتاب المقدس المسيحي، والتي لم تحفظ لنا إلا عِبَر الترجمات اليونانية، واللاتينية، والشرقية.

وبالنسبة لسفر الجامعة، فإن رينان يؤكد أنه من المستحيل أن نضعه بين مجموعة الكتابات الكلاسيكية الإسرائيلية، والتي تنتهي مع الحقبة الأخمينية[1]، مع كتابات الأنبياء المتأخرين، حجي وزكريا، وملاخي.

كذلك لا نستطيع أن نضعه ضمن الجماعة المبهورة بالأنبياء في القدس، ولا في القرن السادس ق.م، حيث كانت يهودا تعاني من التدمير والحزن الشديد، والمبالغة في الأمل.

فإن لغة سِفر الجامعة تحمل سمات عصر حديث نسبيًّا، الأمر الذي ينتفي معه الافتراض الذي يضعه بجانب المؤلفات الكلاسيكية، فالجامعة لاحق على عام **٥٠٠**ق.م، كما أن خلو السفر من النزعة المسيحانية، التي سادت عصر المكابيين يشير إلى أن السفر سابق على الأزمة التي صنعها أنتيخوس أبيفان حوالي عام **١٧٠** ق.م .

ومن ثم فإن هناك عدة احتمالات بشأن زمن تأليف السفر، فإما أنه قد ألف في عهد الأخمينيين، أو في زمن الإسكندر، أو في عهد الحكم البطلمي لفلسطين، فإن عصر الحماسة الدينية الذي بدأ مع يهودا المكابي، انطوى على أبيقوريين هادئين جدًّا،

---

(١) نسبة إلى الأخمينين: وهي سلالة مالكة فارسية أسسها قورش الثاني نحو عام **٥٥٠** ق.م، وأطلق عليها اسم جد العائلة الأكبر أخمينيس، إثر قيام حكم هذه السلالة توحدت القبائل الفارسية العشر، واستطاعت أن تتغلب على المديين فحكمت الشرق القديم موحدة أجزاؤه. انظر: هنري س. عبودي، معجم الحضارات السامية، جروس برس –طرابلس، لبنان، **١٩٩١**م . ص**٥٢** .

تخف لديهم حدة التعصب الإسرائيلي.

ويمثلهم الصدوقيين الذين لا يؤمنون بالملائكة، ولا بالأرواح، ولا القيامة، ومثلوا الطبقة الكهنوتية الأرستقراطية في القدس، ويبدو أن هؤلاء كانوا أشقاء مؤلف سفر الجامعة[١].

ويرفض رينان رأي جريتز [٢]، أن الجامعة أُلِّف قبل ميلاد المسيح بسنوات قليلة، أثناء حكم هيرود، وأن الكتاب كتاب هجائي مُعارِض ملئ بالتلميحات الساخرة من سليمان .

فإن هذا الرأي -كما يرى رينان- رغم جاذبيته إلا أنه لا سند له، فإن لغة السفر هي الأمر المعوَّل عليه هنا، فأسلوب الأدب العبري الحديث متراخٍ بدون جرس، ركيك، مشابه تمامًا للآرامية، وليس هذا أسلوب سفر الجامعة، كما أن المسحة الآرامية قليلة جدًّا فيه[٣].

ويتحمس رينان للنتائج التي توصل إليها نحمان كروتشمال[٤]، ويتفق معه في أن

---

(١) انظر: . RENAN , L'ECCLÉSIASTE, OP.CIT , P٥٤٧ – ٥٤٨

(٢) جريتز: (١٨١٧ – ١٨٩١) مؤرخ يهودي ألماني وناقد للعهد القديم، اشتهر بكتابه تاريخ اليهود الذي ترجم لعدة لغات، بالإضافة إلى ترجماته ودراساته لأسفار الجامعة ونشيد الأناشيد والمزامير، جمع في أبحاثه المفصلة كل آراء الدارسين قبله، ووضحها، وأصدر الحكم عليها بمساعدة حسه التاريخي وخبرته الكبيرة في نقد المصادر مهد لنفسه طريقًا للتأليف عن أسفار الأنبياء والكتابات. ينسب أسفار الكتابات إلى زمن الهيكل الثاني، وطبقًا لرأيه فإن غالبية المزامير قيلت بعد العودة من بابل، وبعضها في عصر الأخمينيين وينسب الإصحاحات الأولى واللأخيرة من سفر الأمثال إلى ما بعد العودة من السبي، وينسب لنفس الفترة المقدمة والخاتمة في سفر أيوب.وينسب سفر الجامعة إلى عصر هيردوس .(انظر: موقع الموسوعة اليهودية WWW.JEWISHENCYCLOPEDIA.COM كتب المقال: ISIDORE SINGER, GOTHHARD DEUTSCH، وقد تمت الزيارة يوم ٢٠٠٩/١١/٩م.

وانظر أيضًا: زالمان شازار، تاريخ نقد العهد القديم، ص ١٩٧ .

(٣) انظر: . RENAN , L'ECCLÉSIASTE,OP.CIT ,P ٥٤٩ – ٥٥١

(٤) نحمان كروتشمال NAHMAN KROCHMAL: (١٧٨٥ – ١٨٤٠)فيلسوف يهودي ومؤرخ ولاهوتي، مؤسس فكرة «مهمة الشعب اليهودي»، ولد في برودي، جاليسيا، بأوكرانيا، من أهم أعماله: . THE GUIDE OF THEPERPLEXED OF MODERN TIMES يرى أن سفر الجامعة بمثابة السفر الأخير في أسفار الكتابات، وأن الفقرات الأخيرة فيه هي عبارات

السفر لا يعود لزمن هيرود، ولا الأشمونيين، وأن الكتاب ينتهي فعليًا عند الفقرة عشرة من الإصحاح الثاني عشر، أما الفقرتان التاليتان فليست لهما أي علاقة بالكتاب الأصلي، وينتهي رينان أن أنسب لحظة نضع فيها تأليف السفر هي المائة عام السابقة على ميلاد المسيح[1].

جـ - سفر أيوب:

يذكر رينان أنه يتضح من القراءة المتمعنة لسفر أيوب، أن شخصياته ليست يهودية، وأحداثه تقع خارج فلسطين، ونمط العبادة فيه ينتمي إلى عصر الآباء، فأيوب كاهن عشيرته، يمارس شعائر دينية ليست لها أية علاقة بأي من الممارسات الدينية الخاصة بالديانة الإسرائيلية، فلا توجد أي إشارة للشعائر الموسوية، ولا للمعتقدات الخاصة باليهود، وقد أدت تلك المعطيات إلى تبني النقاد طويلاً لنظرية أن «سفر أيوب ليس من أصل عبري»[2]، ويرفض رينان هذا الرأي، ويرفض أن يكون سفر أيوب ترجمة لعمل أدبي كتب بلغة سامية أخرى.

ليس فقط لإتمام سفر الجامعة بل أيضًا لأسفار الكتابات في مجموعها . انظر:
JON BLOOMBERG , THE JEWISH WORLD IN THE MODERN AGE , JERSEY CITY ,KATAV PUB.HOUSE ٢٠٠٤ ,P ٧٠ -٧١ .

(١) انظر: . ٥٥٣ -٥٥١ , RENAN , L'ECCLÉSIASTE,OP.CIT

(٢) انظر: . RENAN , LE LIVRE DE JOB ,TOME VII DE O.C , P٣١٧

ومن أوائل من تبنى هذه النظرية كان ابن عزرا، حيث أشار في معرض شروحه على السفر، أنه قد ترجم إلى العبرية عن لغة أخرى، وأن هذا سبب غموضه .انظر: اسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص٢٥٦ .

وتابع اسبينوزا ابن عزرا في رأيه، وذكر أن هذا الكتاب يذكرنا بشعر غير اليهود، بل إنه اعتبر أيوب شخصية غير يهودية . انظر: اسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص ٣١٥ -٣١٦ ، أما فولتير فقد أشار في موسوعته الفلسفية، إلى أن أيوب ليس يهوديًا، كما أن السفر الذي يحمل اسمه أقدم بكثير من الأسفار الخمسة، ومن أهم الملاحظات التي لاحظها فولتير أن كلمة شيطان التي ترد في السفر ليست من أصل عبري، وإنما هي كلدانية، كما هو معروف. وأكد على أن هذا العمل، من المؤكد أنه يعود إلى العرب الذين كانوا يعيشون قبل موسى، خاصةً وأن الشخصيات في السفر مثل: إليفاز بن تيمان، وبلدد الشوحي، وصوفار النعماتي، يعودون إلى أماكن عربية، كما أن السفر يتحدث عن بعض المعلومات الفلكية، التي لم تكن أبدًا محط اهتمام العبريين، على العكس من العرب، الذين أبدوا اهتمامًا كبيرًا بمراقبة النجوم والنظر إلى السماء .انظر: VOLTAIRE , DICTIONNAIRE PHILOSOPHIQUE , S.N ,LONDRES , ١٧٦٧ , ٢\٣١٠ – ٣١٥ .

ويقبل أن يكون المقصود بالعبارة «سفر أيوب ليس من أصل عبري»، أن الظروف المحيطة بهذا السفر ليست عبرية أكثر من كونها إدومية[1] أو إسماعيلية، وأن أصل الأفكار التي نجدها فيه تنتمي إلى فرع بدوي من الجنس السامي، دون أن نجد فيها أيًّا من السمات المميزة للشعب اليهودي، فإنه حينئذٍ رأي ينطوي على قدر كبير من الصواب[2].

وهناك افتراضان أساسيان -في رأي رينان- يفسران النتائج السالفة:

١ – أنه إذا كان شعر أيوب قد كتب بالعبرية على يد أحد العبريين، فإن أصل الأفكار التي يطرحها السفر ليس بها ما هو عبري، على وجه الخصوص، ويلزم عن هذا أن تأليف السفر كان سابقًا على العهد الذي اتخذت فيه المؤسسات الدينية العبرية شكلها النهائي مع التشريع الموسوي.

٢ – أما الافتراض الثاني فهو أن المؤلف اليهودي أراد أن يمنحنا نموذجًا للحكمة اليمانية، تمامًا كما أن أفلاطون منحنا في محاورة طيماوس مقالًا في الفلسفة الفيثاغورية، وفي محاورة بارمينيدس مقالًا في الفلسفة الإيلية، حيث فرض التنميق الأدبي على المؤلف ألا يُنطِق الشخصيات بأفكار وبلغة تناسب الفترة الزمنية، والبلد التي وقعت فيها أحداث شعره.

ويؤكد رينان أن الفرضية الأخيرة لا يمكن أن تنطبق على الظاهرة الأدبية التي نحن بصددها، فإن القدماء لم يكن لديهم فكرة عما نسميه اليوم بالطابع المحلي؛ لهذا نجد أن المؤلف السكندري الذي ألف حكمة سليمان، وكذا مؤلف سفر الجامعة يُنطِقون سليمان بأفكار عصرهم، وليس بأفكار عصر سليمان، ومن ثم فإنه من المستبعد أن يكون أحد العبريين المتأخرين ألَّف سفرًا يعود إلى عصر الآباء، وبالتالي

---

(١) إدوم: منطقة كانت تشمل الجزء الجنوبي من مملكة يهودا، والإدوميين بحسب العهد القديم ذرية عيسو الملقب بإدوم قطنوا قرابة العام ١٣٠٠ق.م في الجنوب من البحر الميت، وقد دمر داود مملكة الإدوميين، وحارب خليفته سليمان ملكهم هدد، بهدف الاستيلاء على وادي عربة، الطريق المؤدية إلى مناجم إيلات. وقد ظل الإدوميين مدة طويلة تابعين لملوك يهوذا، ولم يستعيدوا استقلالهم إلا لفترة أيام الملك يهورام ٨٥٠ق.م .انظر: هنري س. عبودي، معجم الحضارات السامية، ص ٥٦.

(٢) انظر: . RENAN , LE LIVRE DE JOB, OP.CIT , P٣١٧

فإن سفر أيوب عمل أدبي صادق يعبر تمامًا عن أفكار العصر و البلد التي أُلِّف فيها، دون أي نية سيئة للمحاكاة[1].

زمن تأليف السفر:

يرفض رينان الرأي الذي يجعل تأليف السفر في عصر الآباء؛ لأن لغة السفر وفقًا لهذا الافتراض لا بد وأن تكون بدائية كلاسيكية، إلا أن تتبع القرائن النحوية تجعلنا نُرجِع السفر لعصر متأخر في تاريخ الأدب العبري.

والأرجح -في رأي رينان- أن يكون سفر أيوب قد كتبه أحد اليهود المتأثرين بأدب الحكمة، الذي اشتهرت به القبائل المتاخمة لفلسطين، خاصةً بني قيديم والقبائل الإدومية مثل تيمان، حيث كان لدى هؤلاء شكل خاص من الثقافة العقلية، نقل بني إسرائيل بعضًا من آثارها الفكرية.

ولهذا نجد عددًا كبيرًا من النقاد يعتبرون ليمؤيل الذي حفظ لنا سفر الأمثال اسمه في مطلع قصيدة وعظية (الأمثال **٣١**: **١- ٩**)، ملكًا عربيًّا حكيمًا، وكذلك قصيدة أجور (الأمثال **٣٠**).

ومن ثم فإن سفر أيوب يرجع إلى هذه المدرسة الفكرية العظيمة، التي تخصصت في أدب الحكمة، فعلى الرغم من أن أحد العبريين هو من كتب سفر أيوب، إلا أن نمط الأفكار التي يعرضها السفر ليست خاصة بفلسطين تحديدًا، بل إن هذه الصفحات الثمينة إنما هي صدى حكمة تيمان القديمة.

وأنسب عصر يمكن أن يكون السفر قد تألف فيه، هي المرحلة التي ساد فيها نوع من التآخي الفكري بين إسرائيل والشعوب المجاورة لها، ولم يكن هذا متاحًا إلا في عهد سليمان، والذي استمر مع خلفائه حتى جاء الوقت الذي أشاح فيه الشعب اليهودي بوجهه عن الشعوب المجاورة، بتأثير من الأنبياء والملوك المتعصبين .

ويرفض رينان رأي فاتكي الذي يجعل تاريخ تأليف السفر في مرحلة الإمبراطورية الفارسية، في القرن الخامس ق.م [2]؛ لأن سفر أيوب سابق على السبي.

---

(١) انظر: . RENAN , LE LIVRE DE JOB, OP.CIT ,٣١٨ – ٣٢١

(٢) انظر:

حيث تتسم الكتابات اللاحقة على زمن السبي بسمات مختلفة تمامًا عن تلك التي يتسم بها السفر، فهي تحمل طابع الموسوية المتصلبة، والمبالغة في التقوى والحماسة الدينية، مثل: سفري طوبيا وأستير، كما أن أفكار الثواب والعقاب فيه أكثر تقدمًا.

ومن ناحية أخرى فإن أفكار التجلي الإلهي والإلهام الخاص الملحوظ في سفر أيوب (الإصحاح ٤: ١٢، ٣٣: ١٤) ليس لها وجود ظاهر في العصر الفارسي، بالإضافة إلى أن سفر حزقيال ١٤: ١٤ يشير إلى أيوب «وكان فيها هؤلاء الرجال الثلاثة نوح ودانيال وأيوب فإنهم يخلصون أنفسهم ببرهم ..»، وقد بدأت نبوة حزقيال ٥٩٥ق.م، أي أن هناك دليل على أن أيوب في القرن السادس قبل الميلاد، كان بالفعل قد أصبح شخصية مشهورة بقداسته، وأصبح أسطورة متطورة[١].

وينتهي رينان قائلاً: «إنني بوصفي عالمًا في اللغة العبرية، أجعل تأليف سفر أيوب في عام ٧٠٠ق.م، وهو أيضًا الرأي الشائع لدى النقاد الألمان، ومسيو مونك من فرنسا»[٢].

JOHN DAY ,WISDOM IN ANCIENT ISRAEL ,CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS ١٩٩٨ , P٢٥٩ .

(١) انظر: . RENAN , LE LIVRE DE JOB,OP.CIT , P٣٢١ -٣٢٥

(٢)RENAN , LE LIVRE DE JOB, OP.CIT , P٣٢٧ .

ويتفق رينان بهذا الصدد مع إيفالد الذي يؤرخ للسفر في نهاية القرن الثامن ق.م أو بداية السابع ق.م (انظر:

EWALD, COMMENTARY ON THE BOOK OF JOB WITH TRANSLATION , TRANS: J.FREDERICK SMITH ,WILLIAMS AND NORGATE , LONDON ,١٨٨٢ . P ٧٦.

أما بالنسبة لمونك، فقد أشار في كتابه فلسطين إلى أن الكتاب يعود إلى عصر ما قبل إرميا وأنه من تأليف أحد الشعراء المجهولين من مملكة يهودا، الذي ربما أقام لفترة طويلة في مصر والمنطقة العربية المحيطة بإسرائيل وجعل بطل قصته أحد أمراء البدو . انظر:

SALOMON MUNK , PALESTINE , DESCRIPTION , GÉOGRAPHIQUE , ARCHÉOLOGIQUE , HISTORIQUE , FIRM IN DIDOT FRÉRE , ١٨٤٥ . P٤٤٩.

وسليمان مونك:(١٨٠٣ – ١٨٦٧) مستشرق فرنسي درس في جامعتي بون وبرلين، عكف على دراسة المخطوطات السامية في المكتبة القومية في باريس حتى أصيب بالعمى من جراء هذا

ولغة السفر تدعم هذا الافتراض، فلغته قديمة وحادة ونقية، حيث نجد فيه كل الأسلوب الكلاسيكي القديم من حيث الاقتضاب والمرونة والبعد التام عن الجفاف.

- مؤلف السفر:

حاول رينان أن يحدد إذا ما كان سفر أيوب قد ألفته يد واحدة أم أنه ظل دائمًا مرتعًا للإضافات المستمرة، والأمر الملاحظ والذي دفع إلى الاعتقاد بأن السفر تعرض لعدة إضافات وتحريفات أن المقاطع الشعرية في السفر لا تتفق مع المقاطع النثرية فيه، وبقراءة السفر نلاحظ أن أيوب يتحدث مرتين، وذلك بعد أن رد على الأصدقاء الثلاثة، وتحدث إلياهو أربع مرات، كما أن يهوا نفسه نطق بمقالتين، لكل مقالة مقدمة وخاتمة.

ويتضح لرينان بدراسة السفر أن عبارات إلياهو كتبتها يد واحدة، وأن كل عبارات أيوب -فيما عدا بعض المقاطع الصغيرة- هي بصمات أصابع واحدة، تجعلنا نشعر أنها ثمرة إلهام واحد.

والشكوك النقدية تدور حول أربع مقاطع رئيسية في شعر أيوب:

١ – المقدمة والخاتمة.

٢ – الفقرات الممتدة من الإصحاح ٢٧:٧ وحتى نهاية الإصحاح ٢٨ .

٣ – أوصاف التمساح وفرس النهر في نهاية أقوال يهوا.

٤ – أقوال إلياهو كاملة [١].

حيث تتناقض أفكار المقدمة والخاتمة بشكل واضح مع أفكار قصيدة أيوب، حيث يُقدم أيوب في المقدمة والخاتمة كنموذج للصبر على البلاء الشديد الذي تعرض له، وأنه لم يُجدِف على الرب، وكانت كل عباراته وأقواله مليئة بالخضوع والامتثال

١٨٥٠م.خلف رينان كأستاذ للآداب العبرية والسريانية عام ١٨٦٤م. ومن أهم أعمال مونك تحقبق وترجمته لكتاب موسى بن ميمون دلالة الحائرين (انظر:

ENCYCLOPEDIA JUDAICA ,١٢\٥٢٥ – ٥٢٦

(١) انظر: G.W.ANDERSON , ACRITICAL INTRODUCTION ...,IBID ,P ١٨٤ – ١٨٥

للإرادة الإلهية (وها هو الشق النثري)، ولكن بمجرد أن يبدأ أيوب بالتكلم شعرًا تصبح لهجته متغطرسة وحادة وتقريبًا تجديفية.

وفي حين تبدو المقدمة معبرة بشكل واضح عن مرحلة تاريخية تظهر فيها بقوة عبادة يهوا، فإن العبارات الشعرية، التي ينطق بها أيوب على العكس من ذلك تفترض مرحلة تاريخية، تعبر عن قدر كبير من الحرية الدينية، فالروح الجريئة الهجومية البدوية، وعقيدتها البسيطة تتجلى في كل جزئية من الشعر، كما نجد أسماء الله مثل إيلوه، التي نجدها لدى الشعوب السامية الأخرى.

وفي الخاتمة (وهي نثرية) (الإصحاح ٤٢: ٧) أقرَّ الله أن أيوب كان على صواب، وأنه تكلم عنه على نحو صحيح على الرغم من أنه في الشعر وبخ أيوب بقسوة شديدة (الإصحاح ٣٨:٢ والإصحاح ٤٠: ٦).

وعلى الرغم من قوة كل تلك المعطيات، إلا أن رينان لا يجدها كافية لتقسيم العمل إلى قسمين شعري ونثري، فإن الشعر بدون المقدمة والخاتمة مبهم وغامض.

فإذا ما كانت بعض ملامح المقدمة والخاتمة تُظهِر عقيدة متقدمة، وعلى العكس من ذلك تفترض الفقرات الأخرى عبادة بسيطة للغاية، فإنه من الصعب التسليم بأن أحدهم قام باختلاق المظاهر الخارجية لعقيدة متفردة تمامًا، واستنساخ العقائد البطرياركية بهذه الدقة، كما أن السمة القديمة لأسلوب الرواية يؤكد قدمها، أما بالنسبة للفظ يهوا الذي ساد استخدامه في المقدمة والخاتمة، فإنه لا يطعن في أصالة هذين المقطعين، فقد استخدم أيضًا خارج نطاقهما في العبارات القصيرة، التي حددت تغير المُتحدثين (الإصحاح ٣٨: ١، ١:٤٠،٣،٦)، وهي بالتأكيد ليست مقحمة.

– أما بالنسبة للفقرات الممتدة من ٢٧:٧ وحتى نهاية الإصحاح ٢٨.

فصحيح أن المبادئ التي ترد على لسان أيوب في هذا المقطع تتناقض مع تلك التي ثابر عليها، لكن الحقيقة أنه ليس هناك منطق حاسم، يحكم هذه الكتابات القديمة، وهذا لا يثبت أنها إضافات لاحقة.

– أما بالنسبة لأوصاف التمساح وفرس النهر، فإن إيفالد يعتبرها عبارات

مدسوسة ومقحمة على السفر، وهي ترد في ١٥: ٤٠، ٤١[١].

ويرفض رينان رأي إيفالد بهذا الصدد، فصحيح أن أقوال يهوا تنتهي تمامًا عند الفقرة ١٤ من الإصحاح ٤٠، وأن أوصاف بهيموث (التمساح) ولويثان (فرس النهر)، تتسم بأسلوب يختلف عن الأسلوب الذي اتسمت به معلومات التاريخ الطبيعي الواردة في الإصحاح ٣٩، إلا أن التماثل واضح جدًا بين تلك الأجزاء وباقي السفر، الأمر الذي يدل على أن يدًا واحدة ألفتها.

– أما بالنسبة لأقوال إلياهو، فإن مشكلاته النقدية واضحة، ويتفق رينان مع إيفالد ودي فتي أن عباراته مقحمة على النص[٢].

فإن عبارات إلياهو أفسدت بشكل واضح تناسق الشعر، ولم تكن إلا تكرارًا للعبارات السابقة عليها، وأخرت ردود الرب على أيوب، ويبدو أن المُحرِّف لم يهتم كثيرًا بالكيفية التي يُدخِل بها شخصية إلياهو إلى النص ويُخرِجها بها منه، مما جعل تناقض تلك العبارات مع باقي العمل أمرًا واضحًا جدًّا.

فقد تم النص على أسماء جميع شخصيات العمل في المقدمة، إلا أن اسم هذا الشخص لم يرد مطلقًا، وقام المحرف بالاعتذار عن ظهور إلياهو المفاجئ بتقديم تبريرًا استعاديًا (أيوب ٣٢: ٤)، ثم أخذ يهوا ناصية الحديث مباشرة بعد إلياهو مؤنبًا أيوب، وكأن لم يكن هناك شخص يتحدث من بعد مواعظ أيوب ٣١: ٤، كما وجه الرب توبيخًا لأصحاب أيوب الثلاثة في الخاتمة أليفاز التيماني وبلدد الشوحي، وصوفر التماني، دون ذكر أي كلمة بخصوص إلياهو.

بالإضافة إلى أن عبارات إلياهو نجد بها حضورًا قويًا للغة مختلفة تمامًا عن الموجودة في باقي السفر، وقد شكلت هذه الاعتبارات طعنًا قويًا في أصالة عبارات

---

(١) ويذهب إيفالد إلى أن مؤلف هذه الفقرات هو نفسه مؤلف عبارات إلياهو، انظر:
EWALD, COMMENTARY ON THE BOOK OF JOB، ٣٢١ – P٣١٩ .

(٢) ويرى إيفالد أن مؤلف هذه الفقرات قد جاء بعد المؤلف الأصلي بقرن أو قرنين . انظر:
EWALD, COMMENTARY ON THE BOOK OF JOB , P٣١٦. وانظر بصدد رأي دي فتي:
DE WETTE , A CRITICAL AND HISTORICAL INTRODUCTION .., IBID ,P ٥٥٨ – ٥٦٠

إلياهو، ومن ثم فإن رينان يؤكد على أن أقوال إلياهو قد دُست على النص في فترة لاحقة على تأليفه، فترة كان سفر أيوب قد وصل فيها إلى الهيئة التي هو عليه الآن[1].

والفكرة الرئيسة التي يدور حولها سفر أيوب برأي رينان: البحث عن الحقيقة المطلقة والذي يعد المسلَّمة الكبرى التي تصدر عن الدوجاطيقية المتطرفة، وهي المطمح الأساسي لنمط التفكير الظاهري في تعاطيه مع المسائل اللاهوتية، وهي المحصلة النهائية السامية لأي فلسفة، وهي مشكلة لا نهائية فرضت نفسها على أذهان البشر.

وقد فشل كل من المراء الديني لإليفاز والبديهيات الجريئة لأيوب في حل هذا اللغز، بل إن الله نفسه تجنب التصريح بها، وبدلًا من أن يفسر العالم للإنسان اكتفى أن يبين له ضآلة الحيز الذي يشغله في العالم.

ومن السمات الرئيسة التي اتسمت بها الشعوب السامية هو الغياب الكامل للنزعة العلمية، حيث أنهم اعتبروا البحث عن الأسباب باطل لا طائل من ورائه يرهق الإنسان بلا جدوى (الجامعة ١-٣)، أو أنه مناف للتقوى وانتهاك لحقوق الله (أيوب ٣٨- ٤٠): «وهذا هو السبب في أن التفكير اليهودي أنتج القليل جدًا من التأملات الفلسفية العظيمة».

فإن فكرة التوحيد قد أخضعت الإنسان لفكرة عجزه المستمر، وخاصة مع استبعادها للميتافيزيقا والميثولوجية، واستبعادها في نفس الوقت لأي لاهوت أقل نقاء.

وعلى هذا اعتبرت نظرية الأصول الأولى للكون نوعًا من الوثنية، ولذلك فإن نظام الكون -وفقًا لسفر أيوب- أكثر بساطة، فالله هو خالق الكون كل الكائنات تحيا بنفخة منه وقد خلق مباشرة كل ظواهر الطبيعة.

فإن «نظرية الكون» في «سفر أيوب» هي الصيغة الأكثر اكتمالًا لنظام الطبيعة المستنبط من «التوحيد»، وعلى هذا فلا يوجد علم يتعلق بالعالم حيث يتحكم في العالم إرادات خاصة لحاكم مبهم ومتقلب. وانطلاقًا من وجهة النظر هذه يكون الجهل

---

(١) انظر: RENAN , LE LIVRE DE JOB, P٣٢٨-٣٣٢ ,

عبادة والفضول جريمة.

• **أما بالنسبة للنظرة الأخلاقية** في سفر أيوب فهي لا تختلف كثيرًا عن ذلك؛ فالإنسان يتصل بالإله بصلات مباشرة، وفي مرات أخرى يحدثه الإله عبر الرؤى والأحلام، وفي أحيان أخرى يحذر الإله الإنسان عبر أحداث الحياة، والفرق بين الإنسان الخيِّر والشرير يرجع إلى اتباع الطريق الذي يرسمه الله للإنسان ويوحي به إليه، فالله يكافئ الخيِّر بأن يموت في ميعاد موته وينزل إلى الهاوية دون أن يشعر بها، أما الشرير العاصي فعلى العكس من ذلك يموت قبل ميعاد موته أو يموت بحادث مفاجئ أو مرض طويل والذي يعتبر عقابًا على المعاصي الخفية.

ولم تظهر فكرة خلود الروح التي كانت بمثابة الحل النهائي والسهل لكل مواضع الحيرة والالتباس في المسألة الأخلاقية في هذه اللحظة، كما أن مسألة بعث الأجساد لا نلمحها إلا في صورة متلبسة وغامضة جدًا.

• لقد عبر سفر أيوب عن المشكلة العويصة التي استولت على الوعي الإنساني في هذه المرحلة التاريخية التي أصبحت فيها النظرية البطياركية القديمة حول الجزاءات الأرضية (الدنيوية) غير كافية، فقد شعر المؤلف ببطلان هذه النظرية وكان ثائرًا على المظالم الصارخة التي تم تأويلها ظاهريًا بأنها قرارات المشيئة الإلهية، والعقلية اليهودية لم تخرج أبدًا عن نطاق هذه الدائرة المحكمة، فإن «سفر أيوب» لم يكن هو الوحيد الذي طرح هذه المشكلة وإنما طرحه «سفر الجامعة» ولكنه غرق في دائرة المتناقضات ذاتها وبدا بعيدًا عن الحل الأخلاقي.

ففي حين وجد مؤلف «سفر أيوب» الحل في العودة النقية والبسيطة لتصورات الحكمة القديمة؛ فإن «سفر الجامعة» قد غرق في الشكية[1].

---

(١) انظر: RENAN , LE LIVRE DE JOB, P٣٣٣ -٣٣٧.